الفكر الإسلامي

العدد السابع ـ السنة الخامسة عشرة ـ
ذو القعدة ١٤٠٦هـ تموز ١٩٨٦

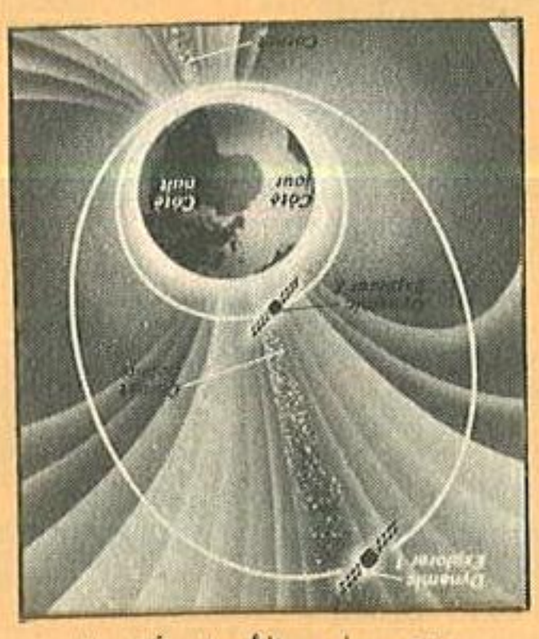

بينت علوم الأحياء أن الماء والشمس والغلاف الجوي المحيط بالأرض وتعاقب الليل والنهار واختلافهما والجبال، هي الشروط الأساسية الضرورية التي تجعل كل حياة ممكنة على سطح كرتنا الأرضية، والآيات القرآنية في هذا المجال تظهر الأبعاد العلمية الاعجازية الكامنة فيها.

راجع ص ٤٠ ـ ٤٦.

حاول البعض تسييس حفل الافطار الرمضاني الذي أقيم في باريس من قبل لجنة صندوق الزكاة، وأظهره بمظهره المذهبي في حين أن كل مجريات الحفل أكدت على التوجه الوطني لمفتي الجمهورية اللبنانية الذي رعا الحفل.

راجع ص ٤٨ ـ ٥٥.

المشرف العام:

الدكتور حسين القوتلي

مدير التحرير

محمد خشان

المدير المسؤول

موفّق مدني

مدير الادارة

يحيى قرواني

المسؤول الفني
والاتصالات الخارجية

محمود المدني

دار الفتوى

بيروت ـ لبنان
ص.ب ١٤٥٣٨٠
هاتف: ٣٠٣٧٠٨ ـ ٣٠٤٥١٩
تلكس: LFATWA 22590 LE

الطباعة: مطبعة المتوسط

ثمن العدد:

* لبنان ١٠ل. ل * سوريا ١٠ل.س * الكويت ٨٠٠ فلس * الأردن ٧٠٠ فلس * اليمن ٨ ريالات * أبو ظبي ٨ دراهم * دبي ٨ دراهم * العراق ٩٠٠ فلس * قطر ١٠ ريالات * البحرين ٩٠٠ فلس * عُمان ٨٠٠ بنسة * السعودية ٨ ريالات * ليبيا ١٠٠٠ درهم * تونس ٩٠٠ مليم * الجزائر ٨ دنانير * موريتانيا ٢١٠ أوقيا * المغرب ٨ دراهم * مصر ١٠٠٠ مليم * السودان ٢٠٠ قرش.
* فرنسا ١٢ فرنكاً * بريطانيا ١٥٠ بنساً * البرازيل ١٥٠ سنتاً * أميركا ٣ دولارات * كندا ١٥٠ سنتاً * قبرص جنيهاً قبرصياً * إيطاليا ٢٥٠٠ لير * باكستان ٣٠ روبية * المانيا ٦ ماركات.

التوزيع:

الشركة العربية للتوزيع

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

مجلة شهرية إسلامية فكرية
تصدر عن دار الفتوى في
الجمهورية اللبنانية

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
كأس العالم من أجل أهداف خاطئة	د. حسين القوتلي	٦
مالك بن أنس الأصبحي	بقلم سماحة الشيخ حسن خالد	١٥
دور التربية القرآنية في تغيير الأنفس	الأستاذ فاضل الجمالي	١٩
مفهوم الاجتهاد وأثره في تاريخ الفكر الإسلامي	د. عصام شنبور	٢٧
الحرب في نظر الإسلام	جابر حمزة فراج	٣٣
الإسلام والعلم	د. إسحق موسى الحسيني	٣٧
بين القرآن الكريم وعلم الفلك	د. عدنان الشريف	٤٠
لقاء الزكاة في باريس بعيداً عن الاستغلال والتسييس		٤٨
الملك فهد في كلمة مؤثرة إلى اللبنانيين		٥٦
حوار مع إمام المركز الإسلامي في بوسطن		٦٠
المستشرقون ونظرتهم إلى الغيب	ترجمة مروان جردلي	٦٦
أهلية الزواج بين كفاء الزوج وموافقة الولي (ملف وقضية)	الشيخ عبدالمجيد سالم	٨٠
البعد التاريخي للعلاقات اللبنانية السورية / مرحلة الاستقلال / ٣ ـ	د. وجيه كوثراني	٨٨
فؤاد فتال فنان سوري	م.ج.	٩٤
الحياة الاجتماعية في بيروت	د. حسان حلاق	٩٨
سعيد كامل الصبّاغ	د. هلال ناتوت	١٠٤
أضواء إسلامية محلية		١٠٨
مكتبة الفكر		١٠٢
مجلة المجلات الإسلامية		١١٦
الفتاوى		١١٨
أضواء إسلامية عالمية		١٢٢
بريد القراء		١٢٦
المال والبنون		١٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قرآن كريم

قال الله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾

حديث شريف

قال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله، قال لا، بل إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

حكمة

ثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق؛ ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم؛ ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

المستشرقون ونظرتهم إلى الغيب

(٢)

ترجمة وتعليق: مروان جردلي

في العدد الماضي تطرقنا إلى الاستشراق وكيف انقسم المستشرقون إلى تيارين أحدهم التزم الشعار القائل إن الاستشراق حركة ذات صبغة علمية وأهداف دينية باعتبارها كانت مهمازاً لعدد من الأوروبيين وغيرهم لدراسة ما لدى الشرق من أدب وفن. وفريق اعتبر الاستشراق وسيلة يمكن من خلالها محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية وآدابها، ولم ير هذا الفريق في الإسلام شيئاً ذا شأن، وإن وجدوا قالوا إنه دخيل من أصل غير إسلامي، وقد تأكد أن الذين تعصبوا على الإسلام قلة لا تساوي الذي تعصبوا على النصرانية. وفي هذا العدد نتناول رؤية المستشرقين للدين على أنها رؤية دهرية تزعم أن العالم وجد نفسه دون حاجة إلى علة خارجة عنه.

إن رؤية المستشرقين لدين هي دهرية(*) تزعم أن العالم وجد بنفسه دون حاجة إلى علة خارجة عنه، يمضي بموجبها كل أمر في سبيله حتى يبدو كأنه نتيجة لصراع قائم ما بين متناقضات. إنها رؤية متعالية لا تتجاوز الحدود المألوفة، أو أنها ليست بمستقلة عن الحوادث. هذه الرؤية أفسدت الكثير من المعضلات المنطقية التي لا يمكن الخروج منها التي اصطدم بها في القرن المنصرم، ضمير الغربيين الديني ـ لنذكر دائماً القلق الدائم الذي لا يزال ينتاب مجتمعات هؤلاء الغربيين؛ إنهم في حيرة عظمى من أمرهم لخلو أنفسهم أو فراغها من جوهر الروح.

أما عن فلسفتهم المتعالية، فهي كقول الأوروبيين إن نسبة الباري سبحانه وتعالى إلى العالم كنسبة المخترع إلى آلته ـ والله يخلق بغير آلة أو الأمير إلى رعيته، أو الوالد إلى ولده (ليبنيز، المونـاد ملوجيا، ٨٤)، بل الله جل شأنه هو السمو على الواقع فلا يستمد من تجربة، ولا يختلط بالعالم الحسي؛ إنه بالأحرى يجاوزه. فالله ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير

(*) مستوحاة بكل معاني الكلمة من هرقليط اليوناني ومن المفكرين الألمانيين هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ونيتشه (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠).

المتعال﴾ (الرعد: ٩) مُتعالٍ عن الكائنات جميعها، وهو ذات ثابتة وحقيقة مطلقة قائمة بذاتها، لا تتصل من قريب أو بعيد بالمثالية الأبستمولوجية (أو فلسفة العلوم)...

... وبالنتيجة يعالج الأوروبيون «الوقائع» الدينية من زاوية علم اجتماع ديني، بل وأيضاً من زاوية علم السياسة[١]. ومن الأسس المعتمدة لديهم، على الأخص، الاطلاع على علم الديانات، والعمل على الإفادة من أفضل مكتسبات التاريخ، وعلم الاجتماع (السوسيولوجيا)، وعلم السلالات البشرية وطبائعها وتاريخ الإنسان (انثروبولوجيا) وعلم النفس والفلسفة[٢] والتيولوجيا[٣]. لذا لا يخشى النصارى من إخضاع الكتاب المقدس لاستقصاءات وأبحاث ـ غالباً ما تكون جريئة ـ تمتُّ بصلةٍ إلى الوقائع الدينية لديهم؛ ولا يحدث البتة شيءٌ من هذا القبيل لدى المسلمين.

والحقيقة، إن منهج علم الأديان اعتبارٌ لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية «الديانات»؛ فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والعلمية التي يقول بها المستشرقون[٤]؛ وبتعبير آخر، من المفروض على المسلم استيعاب كل القدرات الموجودة في الرؤية الدينية الأصولية ثم يعطي توظيفاً لما لديه من علم التاريخ وفلسفة التاريخ وغيرهما. فرسالة الإسلام تستهدف الحياة الواقعية، وهي تحيا خاصة بالفقهاء أو المطبقين لأمور الدين أو الذين يكيفونها مع متطلبات المجتمع. وهذه الحياة تتمثل فضلاً عن ذلك، بالتأمل الذي يستغرق في بحره المتصوفة والإسلاميون.

من نافلة القول إن الإسلام بعيدٌ عن المثالية التي نشأت من فلسفة الديانات؛ كما أنه ليس منهجاً يقتفي أثر العلوم الاجتماعية. إنه دين ودنيا، تنظيمٌ بين هذا وذاك؛ وتعاليمه لا تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية. لهذا السبب غدت الدعوة إلى العلم عامة في الإسلام؛ والدليل إطلاق لفظ العلم في قوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ (طه: ١١٤). ويلحق بكذا مفهوم أن تقوى أسانيد حديث ضعيف بكثر طرقه كما يقول أنور الجندي بخصوص «طلب العلم فريضة» والذي رواه الطبراني (مَعلمةُ الإسلام ـ المكتب الإسلامي ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠). إذاً، فمن خلال مأثرة هذا التنظيم نفسه، وتعاليم الدين يهمنا إدراك الإسلام، وذلك في الوقت الذي تطرح عليه تطورات العالم مشاكل جديدة.

والاستشراق سواء بطروحاته السيئة المقصد أو «الحسنة» من ناحية، أو باكتراثه المفرط بالعودة إلى مصادر التراث من جهة ثانية، أبرز حسب رأي أصحابه (تفككاً) ما بين الدين ومعتقده. لكن خاب ظنهم. أورد الإمام أحمد في مسنده «إن أقواماً يتعمقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرمية»؛ أو لنقل إن هذا المنقطع للعلم والمتفرغ له بإفراط وتفريط يعيا ولا يقضي وطره. وبعبارة أخرى إن هذا الدين متينٌ فليوغل فيه المرء برفقٍ؛ «فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» [والظهر هنا يعني الإبل التي يُحمل عليها أو يركب]. زد أن ذاك الشعور الاستشراقي الذي يردفه معينُ سعة الاطلاع، والعلم المتخصص المفرط، يحركه حماسٌ علميٌّ، واعتبارات محترف بدلاً من مواقف يغلب فيها التشابه بالآراء تشابهاً حقيقياً (انظر المصدر الأول صفحة ٢١٢). ولعل تثمين هكذا منزع يوضحه الأثر القائل: «إنما

□ جمال الدين الأفغاني.

□ ابن سينا.

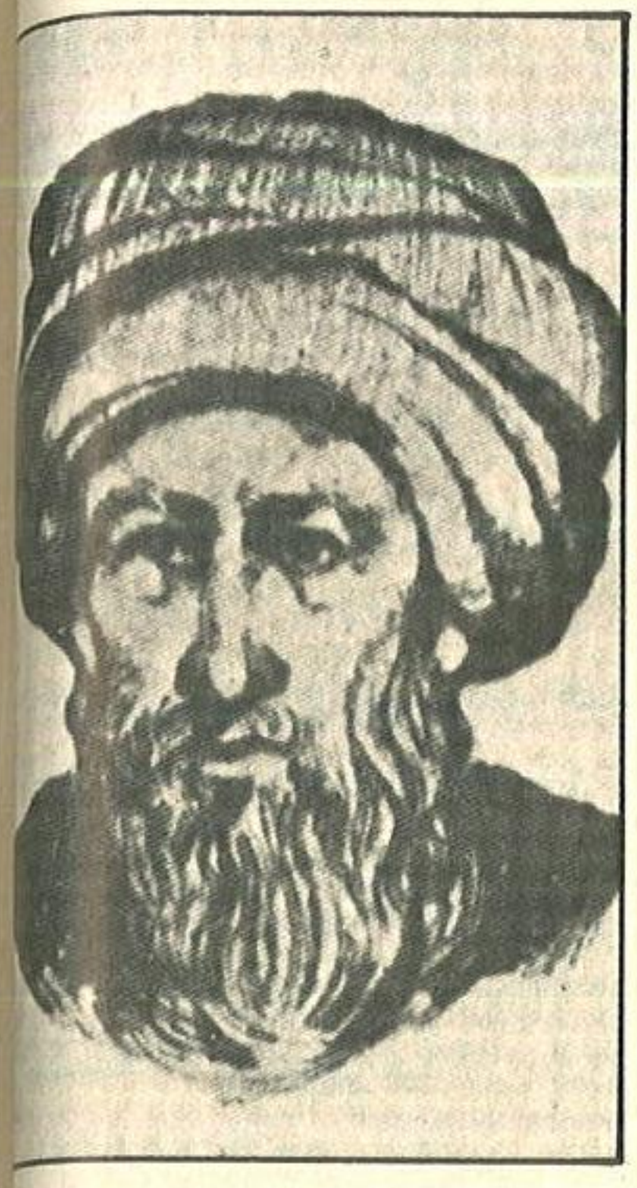

□ ابن رشد.

الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه؛ وإذا فسد أسفله فسد أعلاه».

وعلاوة على ذلك، فالاستشراق لما يترجم للإسلام، يستوحي لغته من توسعه في العلم وغوصه في يمّه ــ وهذا يعني رجحان كفة لغة العقل، بحصر المعنى، على اللغة اللاهوتية أي ما يقابل لغة الرمز الديني القرآني لدى المسلمين. إذاً، فما يعتمل في الصدر من أحاسيس ومشاعر صادقة، وما وقر في القلب من إيمانٍ لا يزن مثقال بعوضة في مدارك المستشرقين ــ ومعلوم أن بعض هؤلاء الأواخر قد عاش في دار الإسلام وفقه اللغة العربية، ولكن دون أن يبلغ مرتبة التفكير فيها على نحو عبقري. كل هذا يبرز بروزاً تاماً أرجحية الناحية العلمية لديهم على الشأن الروحي بخصوص دين القيِّمة.

ومن ناحية أخرى، إن علاقة الفرنسي المعاصر لويس غارديه[٥] مع الأمر الديني الإسلامي، ليس عبارة عن مشاركةٍ في الشعائر، بل هي علاقة قا نتيجة وضع ما. لذا، يحدد هذا الأخير نفسه منطوق أو شروط عقدٍ بدلاً من منطوق أحوا شخصية؛ كما أن فكر الفيلسوف الفرن جاك مارينان (١٨٨٢ ــ ١٩٧٣) التوماوي هو غ له، بمعنى أنه يحاول التوفيق ما بين العقل والنقل أو بين الرواية والفهم، وليس الجمع بينهما. أما منط المستشرقيْن مونتغمري واطس وويلفريد كانتو سميث فهو البروتستانتينية. غير خاف أن تجربة كلي الأولية عن الإسلام، إنما تقوم أيضاً على مُقامهما الد في الشرق. فمن ناحيته، عاش واطس فترة طويلة القدس بصفته السكرتير الشرقي للأسقف الانكليكانية؛ أما سميث فقد مكث في الهند، الحرب العالمية الثانية لعدة سنواتٍ مثَّل خلالها المجل

الملي «للكنائس المتحدة». أما النمساوي الأصل غوستاف فون غرينيبوم (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢)، فقد اعتبر الإسلاميات نزعة إنسانية.

وإذا جاز نعت منطلقات المستشرقين بكلمة «اجتهادات»، فلا ننسى أن جهدهم الشخصي آل بهم إلى أن يجري الكذب على لسان أكثرهم وهم لا يتعمدون الكذب؛ وهم في ذلك مثل «أهل الخير الذين لم نرهم في شيءٍ أكثر منهم في الحديث» سواء «لكونهم لا يعانون صناعة الحديث، فيقع الخطأ في رواياتهم، ولا يعرفونه، ويروون الكذب، ولا يعلمون أنه الكذب» كما روى الإمام مسلم في مقدمة «صحيحه». وفي ذلك خيرٌ يعد أفضل من باطلٍ يسرٌّ.

المستشرقون وآراؤهم

إن وجهات نظر المستشرقين حيال الإسلام مختلفة ومتفاوتة بتفاوت علمهم بمعناه العريض ـ أو بتأثرهم النفسي الخاص بهم، وخاصةً عندما يقيمون بين ظهراني المسلمين العرب؛ ومن هؤلاء المعاصر جاك بيرك. لقد أمضى هذا الأخير السنوات الطوال في «دار الإسلام»، في مراكش خاصة ومصر، حتى لم يعُدْ يشعر بنفسه غريباً في هذه البلاد على حد قوله، وإن كانت هذه المؤالفة «قد تهضمني حقي» كما ذكر. لهذا السبب حرص صاحبنا على أن يميز نفسه بقدر من الجدة؛ فهو بعيدٌ عن طبقة المستشرقين الذين تشرَّبوا بشوائب العواطف الشخصية المتأثرة بالأحقاد التاريخية التي لا مبرر لها في عالم اليوم. وهو أيضاً بعيدٌ عن أولئك الذين قدموا إلى هذه البلدان وهم يتقلدون إيماناً نصرانياً ثابتاً، أو أنهم، خلافاً لذلك، يحتجون بالفلسفة الوضعية الجديدة. وهذا العلم الأخير جعلهم يشعرون في طور حدتهم، بظواهر مراعاةٍ تقضي بسمو البراهين العملية والملاحظات التجريبية من جهة، وبسمو المعتقد من جهة أخرى. وهكذا فقد يكون المثل الذي يضربه بيرك ممقوتاً لدى هؤلاء وأولئك، والدليل مثل المؤرخ والفيلسوف أرنيست رينان الذي نظر إلى الدين الإسلامي نظرة فيها تعنتٌ. فالإسلام حسب رأيه هو الأشد تقيداً وعمقاً وسلفيةً من الديانات الأخرى: إنه لم يره إلا من منظوره الذي عرَّفه «مسلمون معينون» بلفظة تقليد.

فهل وُجد مستشرقون أكثر موضوعية وأكثر هدوء أعصاب؟ بوسعنا هنا استعراض الكثير من الأسئلة، بدءاً من خطابات رينان نفسه لغاية درس الانفتاح الشهير الذي ألقاه المستشرق الإيطالي ليفي دلافيدا[٨]، وحتى لغاية ادعاءات بعض رجالات علم السلالات البشرية السوفياتيين. ومن نافلة القول إن هكذا تعداداً يتضمن اتجاهات شتى وكثيرة جداً؛ والسبب هو أن هذا الدين الحنيف يشكل سؤالاً مُلحّاً في السجال الشائك والقائم منذ قرون بين الأفراد والشعوب. فالأوراق قد اختلطت بين مَن هو حَكَمٌ وخصمٌ، أو بين المنصف والمجحف أو بين الموضوعي والحيادي والمتعصب الأعمى. والدليل قول بيرك: «إن كثيراً من الناس الصادقين والأذكياء يجيبون بالإيجاب على أن القرآن الكريم هو كلمة الله سبحانه وتعالى، بينما يرد سلباً على ذلك الاستفسار كثيرٌ من الناس «الصادقين والأذكياء أيضاً»؛ هذا والقرآن العظيم كما يؤكد المنصفون من الغربيين أنفسهم هو «كلمة إلهية جرى تبليغها بأمانةٍ كما أنه صحيحٌ

محمد احمد المهدي

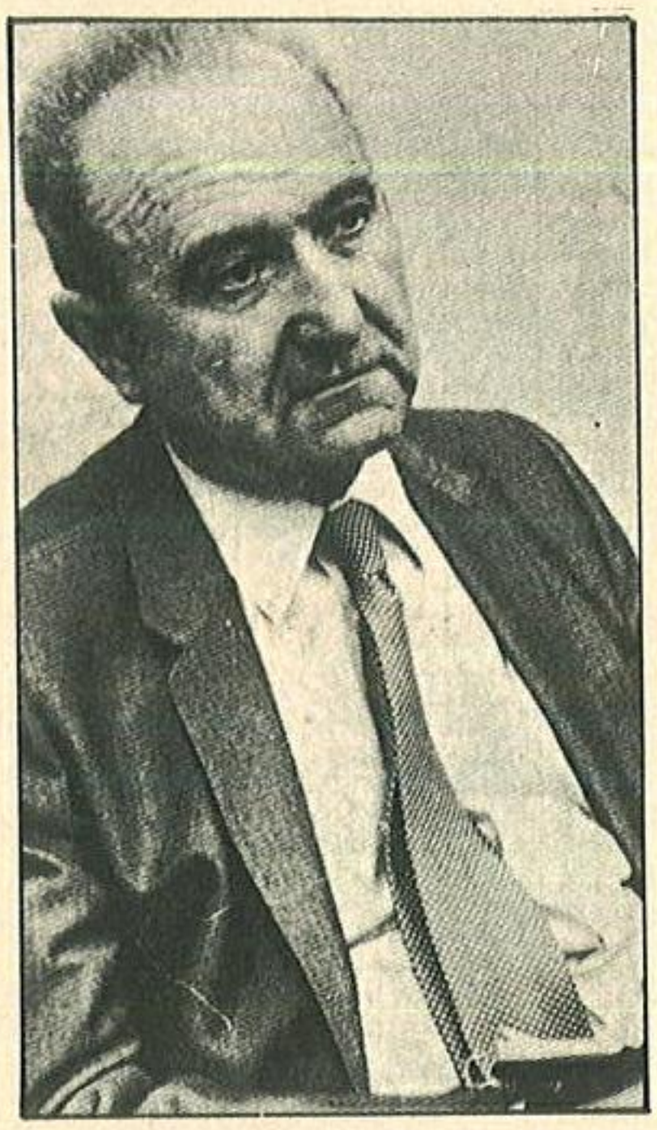

روجيه جارودي.

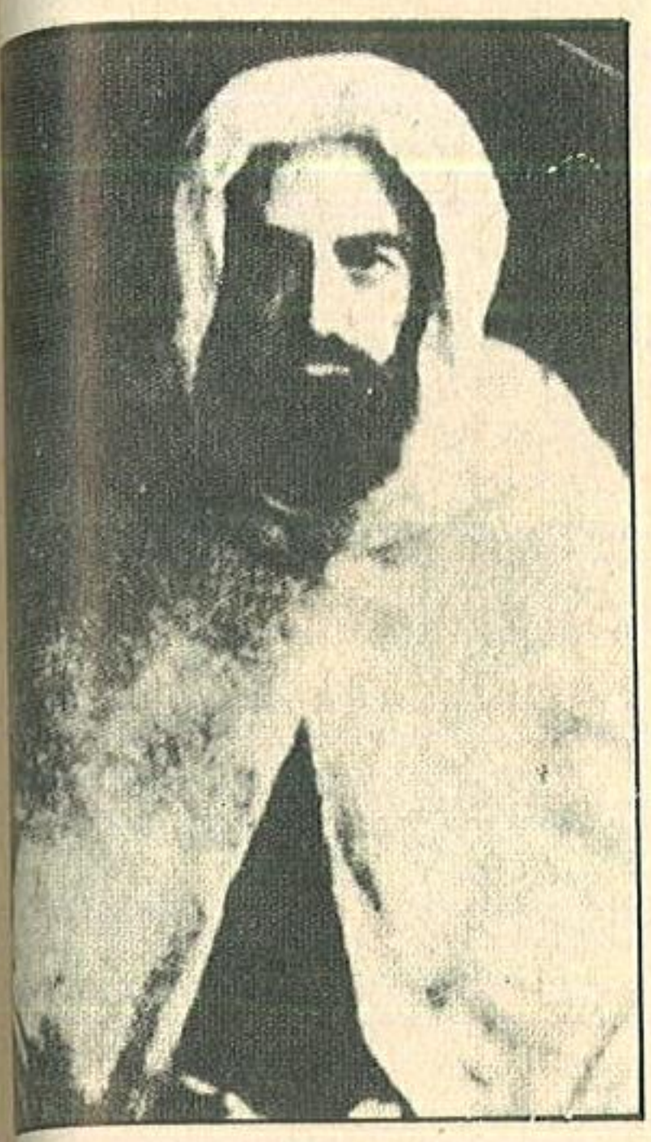

ثبوتيا وتوكيديا».

إن لتعدد اتجاهات المستشرقين بالتالي، أثرا في رؤية كل مستشرق وحتى بعيدا عن التاريخ والفلسفة. لقد رأينا من بينهم من برع لما أتانا بوجهة نظرٍ هي في آنٍ واحدٍ علمية وذرائعية (براغماتية) بصدد موضوع تعسر معالجته؛ ولعل المعاصر بول بوازار في كتابه المعنون «إنسانية الإسلام»[٧] قد أعطى المثل في ذلك. أما فرنسوا بونجان[٨] وحياته بقيت معلقةً بطلبة المغرب المسلمين وأرضهم، فلم يكن تجتذبه لا الأحداث التاريخية ولا الوقائع الاقتصادية. وعلاوة على هذا الأمر، فهذا «المغربي» الفرنسي الذي علمته الحرب[٩] الدروس الكثيرة، لم يكن بوسعه أن يثني دون تحفظ، على فضائل «فكرٍ ما حديث». إنه دعا المسلمين إلى اكتشاف العناصر الحية إلى ما شاء الله، والتي يتضمنها التراث الإسلامي كما دعاهم إلى محبته... فكاد أن يكون في نظر بعض الآراء العجولة

بمثابة المرء المحافظ (وما كان هو أصلا كذلك) ع
حال اجتماعية لم يُعان منها ما عاناه المسلمون وذل
بسبب صفته الأجنبية. وحقا، إن مطلبه المتعقل م
المسلمين إنما كان التذكير بعدم التهافت على محاك
الغرب، بل تجديد مجتمعهم انطلاقا من معطيات دين
وما فيها من رشاد وسداد (معايير وقيم.. ص ١٦١)
وأيضا، هناك المستشرقون الغربيون الذين شغفوا
على وجه الخصوص بالمؤلفين المسلمين الذين بلغ
الشمولية والبقاء لما تطرقوا إلى الأنسيّ وما يعود إليه
ما لديه من مطلق ـ وتلك هي الأصالة التي تعد
ثمار الرؤية الشخصية، تلك الرؤية التي تتجاو
والحاجة لتجديد الحياة الروحية الآن. ونذكر هنا
مصدر الشهرة العالمية «للرباعيات» البعدية الصي
(وصاحبها العالم والشاعر عمر الخيا
١٠٧٤ ـ ١١٣٢)، إنما هو الانكلوساكسو
إدوار فيتز جيرالد (ترجم منها ٧٥ قصيدة شعر

إنجليزياً رائعاً ١٨٨٦ ـ ١٩٠٨ ـ ٩ ـ ١٣ ـ ٣٠ ـ ٤٧). أما مَن عرَّف بالحلاَّج ومَن نبش مؤلَّف ابن العارف الصوفي إنما هما الفرنسي ماسينيون[١٠] والإسباني بالاثيوس[١١].

ومهما يكن شغل المستشرقين الشاغل، فإنهم على اختلاف مشاربهم أصحاب فكر؛ ويكفي المرء في هذا الصدد أن يستشهد بما يقولون «مستشرقٌ عاقلٌ خيرٌ من صديقٍ جاهلٍ». أضف أن هؤلاء النفر ليسوا بمغامرين صورت كتبهم حياة المغامرة والتشرد، كما هو حاصلٌ في المذهب الأدبي الإسباني الأصل والذي عُني بوصف حياة المتشردين. لهذا السبب تبقى بصفةٍ عامةٍ، دراساتهم وتصوراتهم (الرزينة) ذات مكانة ومنزلة ما. ولعل البحر الأبيض المتوسط يقوم بدورٍ لطيف مُهَدّىءٍ في هذا المجال، فهو لم يعد همزة وصلٍ بين بلدانٍ ذات تباينٍ هائلٍ فيما بينها.

ومن جهةٍ، فالوفاء في عملية توكيده للمفهوم الإنساني العام (حتى على صعيد البحر المتوسط)، أو في تأثيره على الصعيد النفسي، لا يكفيه أن يتلاءم مع صداقة تعقد مع الآخر فحسب، وإن كان شرف مهنة الاستشراق قوامه الجهد الثابت لتجاوز الميول المفضلة والحساسيات بحيث لا يكون لها تدخل، بل إن هذا الوفاء يتيح حواراً حقيقياً[١٢]. وفي هذا الصدد، إن ميدان الاستشراق ـ ولو فيه الغث والسمين، والنافع والضار ـ يجدر فعلاً، الاهتمام به كعاملٍ من عوامل الجدل والمناظرات بين المسلمين وغيرهم، تلك المناظرات التي أدت في قرون الإسلام الأولى إلى معرفة المذاهب الفلسفية والدينية عند الشعوب الأخرى. ومما يعزز هذا الجانب ويمده بالدم، وإن امتاز الدين الحنيف بالتجدد المتطور كتبُ الاستشراق نفسها؛ فهي تعالج البنى الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها من البنى التي تنتمي في الوقت نفسه إلى الماضي وإلى الحاضر. والدينُ المعنيُّ في هذا الشأن كله إنما هو دينٌ يرتبط بمصير البشرية الإجمالي، لا سيما وأنه يشهد عصر صحوة تواكبها حملات طعنٍ في جميع جوانبه.

ومن جهة أخرى، بذل المستشرقون جهدهم لتغيير معالم العقيدة الأصيلة والفكر الإسلاميين، لكنهم باؤوا بالفشل والخسران المبين، وإليك أمثلة. فمن أشد أولئك الذين افتروا في آرائهم المستشرق جولد تسيهر. لقد كان من قواعد هذا الأخير ما هو هَدْمُ لكيان السنة بصفةٍ عامة[١٣]. مثال ذلك دعواه أن الحديث النبوي هو نتيجة لتطور المسلمين؛ وهذه دعوى خطيرة للغاية ومُنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة؛ فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد ترك في المسلمين سبيل الهداية ممثلاً في الكتاب والسنة «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي» (رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة).

أما عن الباري عز وجل ـ والمسلم لا يراه إلا بسر القلب في الدنيا، كما يجزم بأن ذاته مقدسة عن كل ما يسع العقل والفهم والحواس، فقد كتب المستشرقون بغالبيتهم وعالجوا «قضية» ذات قدسيته، وذلك بدل أن يعيدوا فتح آفاق الفكر الديني، وأن يضموه إلى الوجود، وواجب الوجود أو الواحد الأحد. والحقيقة، أنه ليس من شرط كل موجود أن تتم رؤيته بالعين «إذ صحة وجود الموجود لا تستدعي أن يكون مرئياً». والدليل على ذلك النفس والعقل. يقول الغزالي في خاتمة باب «الحكمة في مخلوقات الله

عز وجل» ما نصه «وهو (أي العقل) مع القطع بوجوده لا يرى له شخصاً، ولا يسمع له حساً، ولا يجسُّ له مجساً، ولا يشم له ريحاً، ولا يدرك له صورة، ولا طعماً»، بل الدليل السافر هو وجود الباري سبحانه وتعالى «في الأزل لا إلى نهاية»، وهو لم ولن يرى وذلك لا يبطل وجوده أبداً. وأورد أيضاً في «روضة الطالبين وعمدة السالكين» قوله: «الله تعالى هو قيُّوم، أي قائم بذاته» «وهو موجودٌ بذاته لا بغيره. وليس للأشياء من أنفسها إلا العدم وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية. فالوجود لله تعالى ذاتي ليس بمستعارٍ وما سواه فوجوده منه تعالى لا من نفسه، وهذه القيومية ليست إلا لله تعالى» ولما كان كل ما سوى الله تعالى موجوداً بسببه وإرادته وقائماً بمشيئته جل وعلا لا بنفسه «كان وجوده مجازاً وكان وجود القائم بنفسه المقيم لغيره وجوده ثابتاً حقيقياً».

والآن، في أوروبة، هناك من قاده تفكيره المستأنف وبحثه الموضوعي إلى أن الأديان الكبرى كانت في بدايتها حركات تحرير كبرى، تحرير فكري ومعاشي في الوقت ذاته... وهذه هي وجهة عدد متزايد من المفكرين، كما شهدنا في البلدان العربية حديثاً حين استمعنا إلى محاضرات المفكرين الكبيرين رجاء غارودي[١٤] ومكسيم رودنسون[١٥]. فرأينا إلى أي مدلولٍ يحاول هؤلاء المفكرون الاقتراب أو الإقبال على ظاهرة التدين إقبالاً جديداً وعقد المصالحة معها في سبيل تحقيق ما تنشده الإنسانية من تجديد الفكر وتغيير الأوضاع، وإقرار السلام العالمي، وإسعاد أبناء البشرية في حياتهم الدنيوية[١٦]، وكأن دين الإسلام ظاهرة اجتماعية فحسب نسجتها الأيدي البشرية، وإن كانت في جذورها الأصلية وحياً حقيقياً منزلاً من عند الله تعالى، كما يقول الفيلسوف «اوغست كونت»[١٧]. فهل هم يرددون، ولو بشكل مضمر، المقولة التالية: «كل ما مضى فهو المقدمة وكل ما هو آتٍ فبك ومني»[١٨]، وهذا يعني أن الماضي رصيده ضخم في حياتنا وهو أشبه بالأساس بل هو الأساس...

أما حديث المستشرقين بشأن الحكم في الإسلام فقد دانه طابعُ نزعةٍ مَن يرى بعينٍ واحدة. ولا شك، أن غلوّ طائفةٍ من المؤرخين في شأن «الحاكم المسلم المتغلب بالقهر والاستيلاء، وامتثال الناس لطاعته العمياء، مخالفين روح الشريعة ومقاصدها سوَّغت لجمهرة من المستشرقين والدارسين وصف حكومة الإسلام بالثيوقراطية وهي نظام من نظم الحكم ترجع السلطة فيه إلى رجال الدين تارة، والاستبداد الاوثوقراطي تارة أخرى، وكأن قوام الأمر تفويضٌ إلهي كما في أوروبة... وطبيعة الإسلام ترفض كل هذه الأوصاف.

ومهما يكن من أمر، فإن العامل الإسلامي وعمله المتداخل مع الايديولوجيات الوطنية ومع الحديث عن العدالة الاجتماعية، يبقى هو الأساس كما قال المعاصر جيمس بيسكاتوري في خاتمة كتابه «الإسلام في المسيرة السياسية»، ليس مصادفةً إذاً، أن تكون فصول هذا الكتاب عبارة عن عرضٍ شامل يميزه طابع تاريخي واجتماعي؛ أما محوره فهو المكانة التي يتبوأها الإسلام في النظام السياسي. والخلاصة يعتبر هذا المؤلف ذا الحكم بمثابة تنظيم العالم الديني الإسلامي، وهو المتنفس الممنوح للمجتمعات الدينية لتنظيم أمور نفسها حسب تشريعات الدين. وهذا الموقف يناقض تمام المناقضة رأي لويس ميجان، وهو آخر مدير من

مديري إدارة الأديان المستقلة في فرنسا؛ لنسمعه يردد! «إن فصل الكنيسة عن الدولة كان خيراً هبط على الكنيسة وعلى الدولة»[١٥]؛ هذا القول هو تخفيف شر، وهو لا يسري مفعوله على الدين الحنيف.

والعامل الإسلامي الذي تحدث عنه بيسكاتوري مقبولٌ حتى في صدد العصر الوسيط [«الأوروبي» أصلاً]، رغم افتراءات المستشرقين السابقة عن تلك القرون الإسلامية. لقد عنت آنذاك، تقسيمات العالم الإسلامي صورة منطقةٍ أو مجالٍ اجتماعي ـ ثقافي وحيد من السهل أن يجول المرء في داخله. والأصل في هذا الوضع إنما يعود إلى التشكيلات السياسية المحلية لتلك الحقبة من الزمن[١٩].

النهايــة

إن مسألة الحقيقة الدينية تتعلق فعلاً بالدين، بمقدار ما يملك هذا الدين مشاعرَ الإنسان، أي كان، أو بالقدر الذي يُدرك فحوى مفهومه المؤمنون المحدودو الفهم، مهما كان الأمر. إذاً، هناك مجال للترقي في المواهب والعلم، كما في الأفكار الدينية وتطورها... والإسلام بفطرته دين الانفتاح، فليس غريباً أن يكون التطور ديدنه.

وضمن إطار التطور الفكري الدائم، علينا أن نستمد الأحكام الجديدة من الأئمة المستقلين أو المنتسبين إلى المذاهب المتبعة في الأمصار، وما صح عند الأئمة من المروي بنقل الثقات. وهذا معناه أن أهل العلم يسعون إلى معرفة هذا الجديد من خلال كتاب الله المنزل «القرآن العظيم»، ويليه ما بيَّنه للناس بأمره من سُنَّة رسوله خاتم الأنبياء، ويليها ما صح عند الأئمة والتابعين، وما دون ذلك وهو محل اجتهاد. وهذا الباب يحقق المرونة والقدرة على مواجهة اختلاف العصور والبيئات علماً أن الإسلام قد جمع بين الثبات والتطور، فأقام الثوابت في الفرائض والحدود، وهي الأصول، وأباح التغير والحركة في الفروع. وهذا الاجتهاد ـ وهو يعتبر جهداً شخصياً ـ لا يقتصر على مسلمٍ أو مثقفٍ دون آخر، كان قد حكّم العقل وأعطاه السلطة، مثلما فعل ذلك علماء الإسلام، مثلاً لمّا وضعوا القواعد الدقيقة المتعلقة في الأحاديث النبوية ونقدها. ومن هنا يبرز دور المستشرقين، ومنهم المفكر الفرنسي المسلم الشيخ عبدالواحد يحيى (رينيه غينون ـ كما سبق التنويه بذلك)؛ فقد كتب في مجلة «كاييه دي سيد» في عددها الخاص بالإسلام والغرب، دفاعاً عن الروحانية الإسلامية التي أنكرها الغربيون أو قللوا من شأنها؛ كما أنهم قللوا من شأن التصوف الإسلامي. فكتب هذا الفرنسي مبيناً سمو التصوف الإسلامي وروعته، وقارن بينه وبين ما يسمونه بالتصوف المسيحي، أو «الميستيسيزم»، وانتهى بأن هذا «الميستيسيزم» لا يمكنه أن يبلغ، ولا عن بُعدٍ، ما بلغه التصوف الإسلامي من سموٍّ، ومن جلالٍ. ومن ناحية أخرى لن يكون لتعداد بعضهم محاسن الإسلام، وهذا الدين لا يحتاج إلى تزكية مهما يكن نوعها، ميزةَ الفلسفة التي لا يعني الفرد من أمرها إلا أخذ العلم بها وهذا ما يؤكد غياب الروح عند هؤلاء وتقديم الدنيا على الدين.

وهنا، هل يعتبر الاجتهاد بمثابة الزلل؟ وهل يمكن أن يمنح مسمًّى آخر؟ كلا! وإن كان هذا العمل أو الجهد لا يزيد عن علم البشر المتخصصين في الدراسة ـ علماً أن الإسلام أكرم المجتهد وقرر له

ألاجرين إذا أصاب، وأجراً إذا أخطأ[٢٠]، وهؤلاء لا يدَّعون وحياً من الله ولا عصمة من الخطأ وإن اصطبغت آراؤهم أو فتاويهم بروحانية أصيلة. إن هذا المتخصص هو مجرد «عالم» وليس ممن ارتقى إلى درجة الكهنوت بالمعنى الكامل للكلمة، أو من المتحللين الدهريين كبعض المستشرقين الذين تعمقوا في العربية والإسلام. إذ الحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين دعوى الإسلام وبين الإسلام وقد نبهنا الله تعالى إلى هذا الفرق في أول سورة البقرة، حيث قال جل وعز[٢١]: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾. إن دعوى إيمان من هذا النوع هو إفساد، ولكن هؤلاء لا يعلمون أنهم مفسدون. ومن باب أوْلى، كيف يكون وضع المستشرقين ومنهم عدد كبير ليس بمؤمن؟ ولكن هذا الحال لا يستوجب أن نحرم «حق درس التراث الإنساني، ولأولئك الأجانب الغرباء نصيب فيه. ويسقط في الوقت نفسه، عن تراثنا صفته الإنسانية في تأثره بالثقافة العالمية وأثره فيها من اليونان والفرس والرومان إلى أوروبا وافريقيا وآسيا حتى الشرق الأقصى ... وما دامت ثقافتنا عالمية ومن سماء الشرق انبثقت الأديان الثلاثة المنزلة حُقَّ لعلماء العالم تمحيصها لمعرفة مصادر حضارتهم» (العقيقي ٣/٦٢٣).

وضرورة الاجتهاد بينةٌ واضحة؛ فما فاز به الناس قبلنا لم يكفنا على غزارة فضله، مؤونة التجارب والفطن فنتائج الأفكار لا تقف عند حد، بل لكل عالم ومتعلمٍ منها حظ يحرزه في الوقت المقدَّر له، وليس لأحدٍ أن يزاحمه فيه، لأن العالم المعنوي وا كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي ليس له انقطا ولا آخر، فغير مُستبعدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخرين ما لم يُدَّخر لكثيرٍ من المتقدمين... فالأوائل وإن فاز باستخراج الأصول وتمهيدها، فالأواخر فازوا بتفر الأصول وتشييدها، وكما قال عليه الصلاة والسلا «أُمتي أُمةٌ مرحومةٌ كالمطر لا يُدرى أوله خ أو آخره»[٢٢] (أخرجه البيهقي وفيه اختلاف للمحد تصحيحاً وتضعيفاً). وهنا لا بد من القول إن ما ز به العلماء المسلمون من نشر النصوص الدين الكلاسيكية وشرحها يفوق كماً مثلما يفوق نوعاً الغالب، ما أنتجه الاستشراق الدولي كما قال المعا جاك بيرك[٢٣]. لعمري، فهذا الحال كان نتيج ولم يكن غايةً، والحقيقة أن عمل الغرب الدؤو والمتسارع بخطى حثيثة له أثره في هذا المجال، ذل الأثر الذي حدَّ من قسط الدين في حياة الف الغربي. وربما كان هناك لما يعتمل أو يخالج قرا أنفسهم من أثرٍ أيضاً؛ وهذا يعني أن ما يسط الاستشراق عن الدين الحنيف ليس هو إلا محاو أو محاولات في فلسفة الدين يميزها التحليل النقدي وهذا الأمر مكروهٌ أو منهيٌّ عنه وخاصةً أن من عوا فتح السبيل أمام تعقدات لا تخفى على اللبيب الفطن

وعلى كل، فالرأي أننا لا نبخس المستشرق حقهم، في صون تراثنا وفهرسته وتحقيقه وترجم والتصنيف فيه، ثم نشره عن طريق المعاهد والمطاب والمجلات والمؤتمرات. ولو نحن قابلنا جميع ذلك م يوم قام الاستشراق عصراً عصراً، حتى اليوم بما لد منه، ووازنا بين آثار المشهورين من المستشرقين كدوزي وبروكلمان وماسينيون وينكولسن وبين آ

أعلامنا لما فضلناهم في شأن كبير، وإلا كنا اكتفينا بما لنا وضربنا صفحاً عن ترجمة المئات من مصنفات المستشرقين، وكفينا أنفسنا المفاخرة بها والقول في مقدماتها: إنه كان نقصاً كبيراً ومعيباً أن تخلو مكتبتنا العربية منها»(٢٤).

ومن وجهة نظر أخرى، فالمسلم المؤمن بالوحي وهو المكمل لنور العقل بنسبة الشمس مقارنةً بنور النجم تضافرت لديه في آنٍ واحدٍ، أنوارُ الشرائع الإلهية التي هي كالشمس، وأنوار العقول التي هي كالنجم؛ ومثل هذا التضافر بعيدٌ عن الغربيين. أضف أن الباحث المسلم يختلف عن المستشرق في أنه داخلٌ في التراث والتراث جزء منه، وهو مسؤول عنه مسؤولية مباشرة. وعلاوة على ذلك، لم يلقن الإسلام أمته ما لقَّنه رجال الدين الأوروبيين ـ موطن المستشرقين ـ لأقوامهم من التفويض الإلهي للحكام، أو التفويض في الغفران من دون الله جل شأنه؛ كما لم يقل علماء المسلمين للناس إن ما كشفه العلم الحديث من اختراعاتٍ واكتشافاتٍ يتعارض والشأن الديني. وأخيراً وليس آخراً، لم يجعل المسلمون من حاجز ما بين الدين والضمير. ومرد الأمر في هذه الشؤون النفسية أن لها فعاليتها المؤثرة على العمل الفكري وخاصة الديني منها، عند جميع الأطراف.

إن الاستشراق والروحية بصفة عامة، هما الضر والنفع، أو النار والماء العذب، أو الغيم الأسود والمزلف والنفس الراضية المرضية، إذا بدت فلونها لون السماء وهي الزرقة التي تعد أكثر الألوان موافقةً للبصر. والاستشراق هو عينٌ له نبعان ينبجسان من أصلٍ مختلف ألا وهما العلم(٢٥) والفيض الإلهي؛ وهو لا خير فيه لوحده. ومن هنا فإن ترجمات معاني القرآن الوفيرة المنشورة في شتى اللغات تتفاوت إلى حدٍّ بالغٍ في مصداقيتها، لأنها إجمالاً من صنع المستشرقين. «وما بها ترجماتهم؟ بل قل ما لها وما عليها»، علماً أن القرآن الكريم هو وحيٌ من عند الله بلفظه ومعناه، وهل يمكن ترجمة الوحي الإلهي بعبارات بشرية عادية؟ إن فيض النفس على الوجود وتربيته منه بعد أن تصفو النفس وتزكو، تفيض بعض الخير الذي ينبت عسجداً. ولكن إن أفاض بالشر فينبت منه الشر الممتزج بظلمات الكفر الذي يسعى وكأنه يطلب الإذن بالدخول إلى صميم الفرد، وما على هذا الأخير إلا أن يطلب الانفكاك منه.

وبالاختصار، إن الصراع الفكري بين الحضارة الأوروبية والحضارة الإسلامية يتمثل في بعض أوجهه بالحركة الاستشراقية بوجه عام، وإن كان «أسهم الباحثون الألمان بجهود كبيرة في الدراسات العربية والإسلامية عن طريق التدريس والكتابة ونشر النصوص، واستطاعت جهودهم مجتمعة أن تهيىء ظروفاً ملائمة لرعاية اتجاه متميز لاقترابٍ من حقيقة الإسلام يكون مخلصاً، كما يمكن أن يصدق عليه وصف الأكاديمي»(٢٦).

إن بحوث الاستشراق هي، على العموم، مهمةٌ، لا سيما أنها عالجت التراث من مواقف عديدة: نظرة موضوعية منهجية علمية وتاريخية سليمة، ونظرة متأثرة باتجاهات ايديولوجية؛ ومنها ـ وهنا بيت القصيد ـ الاتجاه المحافظ وهو الأكثر إغراقاً في الغيبيات وفي عالم المطلق، مع طمس الجوانب ذات النزعات المادية أو إخفاء الأبعاد الاجتماعية الكامنة حتى في الأشكال الغيبية، كآثار التصوف الفلسفي عند أمثال الحلاج، ورابعة العدوية، شهيدة العشق الإلهي. بل لقد حاول

عالميات

كثيرٌ من هؤلاء المستشرقين توجيه المنظومات الفلسفية لأمثال الفارابي، وابن سيناء، وابن رشد توجيهاً يصرفها عن أبعادها المادية ويفرغها من هذه الأبعاد، لتصبح منظومة صوفية أو إشراقية أو دينية. فنجد مثلاً المستشرق كارادي فو يحاول إرجاع فلسفة الفارابي العقلانية إلى فلسفة صوفية، ونجد المستشرق ماسينيون يحسب الكندي والفارابي وابن سينا في عداد المتصوفة؛ ويعتبر المستشرق جيلسون(٢٧) ابن سينا مؤسساً لنظرية الإشراق؛ ومعلوم أن موضوعها كناية عن فلسفة تفترض رؤيا داخلية وتجربة صوفية(٢٨).

أهم المصادر الأجنبية:

(١) معايير الإسلام المعاصر وقيمه: بقلم لفيف من الاختصاصيين المسلمين والأوروبيين، نشره شارناي، بايو، ١٩٦٦، باريس.

(٢) الإسلام والتحدي: تأليف جاك بيرك (أستاذ في كوليج دي فرانس)، غاليمارد، ١٩٨٠، باريس.

(٣) الإسلام ومساره السياسي: تأليف جيمس بيسكاتوري، مطابع جامعة كمبردج، ٢٤٩ صفحة، ١٩٨٣، لندن.

(٤) الإسلام: تأليف ي. مبارك، كاستيرمان، ١٩٦٢، بلجيكا.

(٥) الإسلام، الخوف والرجاء: تأليف حبيب بولا عراس، جان‌كلود لاتيس، ١٩٨٣، باريس.

تعليقات ومراجع

(١) انظر: الدين والسياسات في سياسات أوروبا الغربية، سوز بيرجرف. كأس، ١٩٨٢، لندن.

(٢) معلوم أن الفكر الفلسفي الجدلي يقول بأن التناقض هو حركة التاريخ الذي يتقدم نتيجة لتعاقب الصراعات وتآلف التدريجي فيما بينها. «ولعمري لم يثبت أن هذا المنهج أتاح كل مرة بلوغ الحقيقة ووصفها بشكل صحيح» كما يقو الأكاديمي الفرنسي مولنيي في كتابه «معنى الكلمات ص ٧٦. وبعبارة أخرى إن هذا الفكر ينادي بتكامل الأضداد عكس الفكر الليبرالي الذي يقر بحق الخطأ ومرا جانبه بصفته من ملازمات احترام الفكر الحر وبحثه الح إلى درجة أن قدراً ما من الخطأ يساهم في الحفاظ على الس مفتوحة المعابر؛ وهذا يفضي إلى بلوغ الحقيقة ولإثرا بالفروق الدقيقة جداً.

(٣) الفيولوجيا: علم اللاهوت وهو العلم الذي يبحث في وصفاته وعلائقه بالعالم والإنسان ويرادفه في الإسلام ع التوحيد وعلم الكلام وعلم الربوبية وهناك علم اللاهو الطبيعي المبني على التجربة والعقل؛ وعلم اللاهوت الد والاعتقادي المبني على الوحي أي على كلام الله المحفوظ الكتب المقدسة.

(٤) لنذكر على سبيل المثال أن الدين لدى مدرسة الع الاجتماعية يعتبر ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ـ على قول الفرنسي دوركايم والدكتور طه حسين نقلاً عن لم ينزل من السماء ولم يهبط به وحي، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها.

(٥) لويس غارديه (١٩٠٤) مستشرق فرنسي عني بمقارنة الثق والفلسفة والدين والتصوف، وقد حبب العربية إليه ثقا العربية والإسلامية. علّم غارديه الفلسفة المقارن والإسلاميات في المعهد الدولي في الفار، وفي تول ١٩٤٦ ـ ١٩٧٢، كما ألقى سلسلة محاضرات في الم

البابوي للدراسات العربية في رومة، وفي جامعات: المغرب، والرباط، والجزائر، والقاهرة، وبيروت. يتولى مع المستشرق إتيين جيلسون الإشراف على سلسلة الدراسات الإسلامية التي تطبع في باريس، ويعاون في تحرير دائرة المعارف الإسلامية (ليدن ـ باريس ـ لندن). وقد عرف بالشمول والتدقيق والموضوعية.

(٦) دلّافيدا (١٨٨٦ ـ ١٩٦٧) أول إنتاجه العلمي في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، هو دراسة تاريخية عنوانها «خلافة علي وفقاً لكتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري، ثم عني بكتاب «الجمهرة في النسب» لابن الكلبي، وكان من ثمرة عناية دلافيدا بـ «جمهرة النسب» لابن الكلبي أن صار متطلعاً في علم الأنساب عند العرب، ولهذا عهدت إليه «دائرة المعارف الإسلامية» في طبعتها الأولى بأن يكتب المواد المتعلقة بالأنساب العربية. وكتب مادة «العرب ـ Arabi» في دائرة المعارف الإيطالية، ونشر مقالات أخرى في التاريخ الإسلامي متنوعة، وقد جمع بعضها في كتاب بعنوان غريب هو «نوادر وتسليات عربية وغير عربية. وهذا الكتاب يحتوي أيضاً على سيرٍ لنفرٍ من المستشرقين الإيطاليين كتبها بمناسبة وفاتهم.

(٧) «إنسانية الإسلام: بول أ. بوازار، ٤٣٦ صفحة، مجموعة «حضور العالم العربي» منشورات ألبان ميشال، ١٩٧٩، باريس. هذا المؤلف هو سويسري الجنسية عاش في البلدان العربية والإسلامية أكثر من اثني عشر سنة لا سيما كمندوب للجنة الصليب الأحمر الدولية في الجزائر واليمن والعربية السعودية وسوريا والأردن ومصر. وهو رغم تعاطفه العميق مع الإسلام والمسلمين يتناول الإسلام في كتاباته بشكل موضوعي.

(٨) الذي عاش في مصر (١٩١٩ ـ ١٩٢٤) وفي الشرق (سوريا واسطنبول ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩) وفي المغرب (فاس ومراكش والرباط ١٩٢٩ ـ ١٩٦٣).

(٩) اشترك في حرب ١٩١٤ كجندي من المشاة الفرنسية وأسر فيها لمدة ثلاث سنوات.

(١٠) لويس ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) ترك آثاراً جمة (٦٥٠ أثراً) في مختلف الشؤون الإسلامية، لا سيما الصوفية، منها آلام الحلاج، شهيد التصوف في الإسلام، أول رسالة دكتوراه من السوربون في جزأين يربوان على أكثر من ألف صفحة أثبت فيها أصالة التصوف في الإسلام (١٩٢٢) ثم نشرها منقحة ومضافاً إليها، ١٩٥٤، باريس.

(١١) ميغيل آسين بلاثيوس (١٨٧١ ـ ١٩٤٤): اهتم بالشؤون العربية كما درس الفلسفة العربية والأدب الإسلامي. لكن دراسته الكبرى كانت عن ابن عربي وتمتد بين ١٩٢٥ و١٩٢٨. وقد نشر أربع دراسات كبيرة في «مضبطة الأكاديمية الملكية للتاريخ» كلها تتعلق بابن عربي.

(١٢) لكن من البديهي أن غير الخيِّر لا يستطيع أن يدعو إلى الخير الذي لا يفعل المعروف لا يقدر أن يأمر به والذي يرتكب المنكر لا ينهى عنه.

(١٣) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي.

(١٤) المفكر الفرنسي المسلم رجاء غارودي (١٩١٣) وجد في الإسلام ـ وهو العليم بخلفيات الحضارة الغربية ـ المنقذ للعقل الحائر في هذا القرن، الحائر أمام مأساة «التوسير» وهو أحد عمالقة الفلسفة المادية والذي قتل زوجته وهي نائمة إلى جانبه. من مؤلفاته الإسلامية «وعود الإسلام». وقد صدر له أخيراً عن دار جاغوار للنشر بباريس كتاب «المسجد مرآة الإسلام» الذي يعتبر تعريفاً بالإسلام عبر آثاره القيمة مثل جامع عقبة بن نافع بالقيروان (تونس) والمسجد الأقصى (قبة الصخرة) في القدس والكعبة المشرفة وجامع قرطبة وجامع القيروان بفاس (المغرب) وقد أخذ على «ماسينيون» في كتابه عن الحلاج عدم تقديره حق القدر للاختلافات القائمة بين تجربة الصوفيين النصارى ومصادر الصوفية التي أشار إليها ابن خلدون. هذا وقد كان كتب قبل اعتناقه الإسلام مؤلفات كثيرة تناولت مفاهيم غربية وشيوعية فضلاً عن كتابه «قضية إسرائيل».

(١٥) مكسيم رودنسون (١٩١٥) مستشرق فرنسي عُيِّن أستاذاً في المعهد الإسلامي بصيدا من لبنان (١٩٤٠ ـ ١٩٤١) ومحاضراً في مدرسة الآداب العليا ببيروت

(١٩٤٦ ـ ١٩٤٧) كما عين محاضراً في قسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية (١٩٥٩ ـ ١٩٧١) في المدرسة العلمية للدراسات العليا. نشر الكثير من التحليلات الاجتماعية والسياسية حول الشرق الأوسط (محمد ١٩٦١، والإسلام والرأسمالية ١٩٦٦) والنزاع الإسرائيلي العربي ١٩٦٨.

(١٦) وفي الواقع الإسلام لا يقر التفرقة بالعنصر أو التعصب للدماء والأجناس والألوية؛ فالناس في الإسلام تتكافأ دماؤهم وأموالهم. لقد طبق الإسلام الإخاء بين الناس قبل أن يدعو إليه الغرب بألف عام.

(١٧) أوغست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) رياضي وفيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية. ورد ذلك في قانون الحالة اللاهوتية عنده وبالتحديد في ثالثة درجاتها القائلة بإله واحد؛ وهذا هو مذهب التوحيد الذي يرى أن الفاعل الحقيقي هو الله، وأنه لا فاعل سواه ومن المعروف أن رأس أركان الإيمان في الإسلام التوحيد وللتوحيد في الإسلام شرطان: الإيمان بأن الله واحد بالعدد، وتنزيه الله عن كل صفة يتصف بها خلقه وعن أن ننسب إلى خلقه شيئاً من صفاته، إلا مع التأويل الصحيح (تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون؛ د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ ـ بيروت).

(١٨) والقول مستعار من شيكسبير (العاصفة، الفصل الثاني، المنظر الأول).

(١٩) انظر: مجلة «إبلا» المتخصصة الفرنسية، العدد ١٥٣، السنة ٤٧، ص ١٦٩، ١٩٨٤، تونس.

(٢٠) من الأحاديث الواردة في الاجتهاد: عندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل والياً إلى اليمن سأله: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي (راجع جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، ج ٢، ص ٦٩، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٨هـ).

(٢١) البقرة: ٨ ـ ١٠. فالله تعالى قد نبهنا إلى أن مجرد دعوى الإيمان لا تعني الإيمان بل إنها لا تعني شيئاً إذ أن الله سبحانه وتعالى لم يقل إن هؤلاء المدّعين آمنوا فيما مضى أو أنهم كانوا مؤمنين ثم أنكروا، بل قال جل من قائل: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ أي أنه تعالى نفى عنهم صفة الإيمان إطلاقاً.

(٢٢) يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» رواه البخاري من حديث معاوية.

(٢٣) معايير الإسلام وقيمه، ص ٢١٢، مصدر سابق.

(٢٤) العلم عند العرب لمترجميه الدكتورين: عبدالحليم النجار ومحمد يوسف موسى (القاهرة ١٩٦٢).

(٢٥) يقول الإمام مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعةٍ ويؤخذ مما سوى ذلك، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيهٍ يعلن بالسفه وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به».

(٢٦) من كلمات الدكتور حسين مؤنس في دراسته لكتاب «الإسلام» لمؤلفه غاستون فيات نقلاً من كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي.

(٢٧) راجع الملاحظة السابقة والمتعلقة بالمعاصر لويس غارديه.

(٢٨) «دراسات تاريخية» مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان السابع عشر والثامن عشر، آب ـ تشرين الثاني ١٩٨٤، ص ٤٨.